المورد

مجلة تراثية فصلية

تصدرها وزارة الثقافة والفنون - دار الجاحظ - الجمهورية العراقية
المجلد الثامن - العدد الثاني - ١٣٩٩ - ١٩٧٩

2

WWW.ATTAWEEL.COM

أسد الدين شيركوه

فلسفة الكندي الخلقية

بقلم الدكتور

ناجي التكريتي

كلية الآداب ـ جامعة بغداد

هو ابو يوسف يعقوب بن اسحق المتوفى حوالي سنة ٢٥٢ هـ ؛ وكما سمي فيلسوف فيلسوف العرب كذلك سمي فيلسوف الاسلام ، بالرغم من انه اقرب بتفكيره وعقله الى الفلسفة اليونانية منها الى روح الاسلام . ولذا نرى ابن تيمية يقول : وكان يعقوب بن اسحق الكندي فيلسوف الاسلام في وقته ـ اعني الفيلسوف الذي في الاسلام ، والا فليس للاسلام فلاسفة(١) .

اما فيلسوف العرب فلانه اول فيلسوف عربي يذهب مذهب التفلسف اليوناني ، حتى انه يحاول أن يصل يونان بقحطان نسبا ، ويحتج لذلك باخبار يذكرها في بدء الانساب . اما في كتاباته فانه ينحو منحى الفلاسفة وقد اشتهر بانه اشتغل في جميع فروع الفلسفة ، وله في اكثر العلوم الفلسفية مصنفات طوال وكتب مشهورة من كل صنف كالطب والفلسفة والرياضة والمنطق . بالاضافة الى نسبه العربي ، فهو من قبيلة كندة العربية ، التي كانت تقطن في جنوب الجزيرة العربية ، والتي نزح اكثرها واستوطن العراق بصورة خاصة . اما هو فينتسب الى رؤساء القبيلة وملوكها ، وينسبه ابن ابي اصيبعة(٢) . يعقوب بن اسحق بن الصباح ابن عمران بن اسماعيل بن محمد بن الاشعث .. حتى يصل الى يعرب ابن قحطان ، وكان ابوه اسحق بن الصباح اميرا على الكوفة للمهدي والرشيد . وكان الاشعث بن قيس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ؛ وكان قبل ذلك ملكا على جميع كنده، وكان ابوه قيس ملكا على كنده ايضا . اما هو ـ فيلسوفنا ـ فكان عظيم المنزلة عند المامون والمعتصم وعند ابنه احمد، ومن المقربين عندهم ، اما مصادرة مكتبته ، وغضب القصر عليه فقد حدث زمن المتوكل .

لاشك ان الكندي تثقف ثقافة واسعة ووعى علوم عصره ،بالاضافة الى تزوده بالفلسفة اليونانية فانه قد نشأ وترعرع في وسط فكري يموج بالحركة العلمية ، فبالرغم من نشوء علم الكلام وازدهاره في عصره ، فقد اتاح له وسطه الاطلاع على الكتب الفلسفية لاسيما المنقول منها بواسطة كبار المترجمين

(١) الدكتور على سامي النشار . نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام ، الاسكندرية ، دار المعارف ، ١٩٦٥ جـ١ص٧٤ .

(٢) ابن ابي اصيبعة : عيون الانباء في طبقات الاطباء ، القاهرة ١٢٩٩هـ-١٨٨٢م جـ١ ص ٢٠٦

WWW.ATTAWEEL.COM

مع أن مؤرخي العرب يعتبرونه من كبار المترجمين فابن ابي اصيبعة(٣) يروي « وقال ابو معشر في كتاب المذكرات لشاذان : حذاق التراجمة في الاسلام اربعة : حنين بن اسحق ويعقوب الكندي وثابت بن قرة الحراني وعمر بن الفرخان الطبري » بما يضيف ابن ابي اصيبعة الى ان الكندي ترجم من كتب الفلسفة الكثير .

رغم هذا لم تبق لنا اية ترجمة كاملة اتمها بنفسه ، ولهذا فان دوره كمترجم مجهول تماما ، وانه لم يعرف اليونانية ، ولكنه مع هذا كان يعتمد على الترجمة السريانية ، لانه كان يجيد اللغة السريانية . ويخبرنا القفطي(٤) : « ان كتاب الجغرافيا في المعمورة من الارض لبطليموس نقله الكندي الى العربية نقلا جيدا ويوجد سريانيا» .

اطلع الكندي على الفلسفة اليونانية الى درجة تبلغ الاتقان ، وتدل مؤلفاته على شمول عقله لكل ما كان يدور بين مفكري عصره من علوم كلامية وفلسفية اضافة الى نبوغه واستقلال رايه وتكوين وجهة نظر شخصية خاصة به ، وبالاضافة الى قوة اسلوبه ، مما يدل على ثروته الكلامية الواسعة وجزالة رصينة كل هذا لاطلاعه الواسع في كتب الادب واللغة بالاضافة الى دراسة كتب الاقدمين ؛ مع دراساته الواسعة سواء مع المتكلمين المسلمين ؛ او تلقيه علوم اليونان ، حتى بلغت كتبه حوالي ثلاثمائة مؤلف في مختلف فروع الفلسفة .

ومن كلماته الدالة على حكمته وشخصيته وروحه :(٥)

«اعتزل للشر فان الشر للشرير خلق. ومن لم ينبسط لحديثك فارفع عنه مؤونة الاستماع منك . اعص الهوى واطع من شئت . لاتغتر بمال وان كثر . لاتطلب الحاجة الى كذوب فانه يبعدها وهي قريبة ولا الى جاهل فانه يجعل حاجتك وقاية لحاجته. لاتنج مما تكره حتى تمتنع عن كثير مما تحب وتريد. العاقل يظن ان فوق علمه علما فهو ابدا يتواضع لتلك الزيادة ، والجاهل يظن انه قد تناهى فتمقته النفوس لذلك. ليتق الله المتطبب فليس عن الانفس عوض ، فلا يخاطر ،وكمايجب ان يقال انه كان سبب عافية العليل وبرئه ، فليحذر ان يقال انه كان تلفه وموته . »

لاشك ان الكندي حذا حذو ارسطو في تآليفه وفلسفته اساسها مشائي ؛ الا انه مع هذا تاثر باراء المتكلمين ، لاسيما المعتزلة بالاضافة الى تاثره بافلاطون وسقراط . فاننا نجد في مصنفات الكندي رسالة في فضيلة سقراط ؛ واخرى في الفاظ سقراط ، وثالثة في المحاورة بين سقراط وارشيجانس ، ورسالة في خبر موت سقراط . ورسالة فيما جرى بين سقراط والحرانيين .(٦) بالاضافة الى رسائله الاخرى التي يظهر فيها اثر افلاطون مثل (في انه توجد جواهر من اجسام) ورسالته (القول في النفس) ورسالته (في العقل) ورسالته (في ماهية النوم والرؤيا) . كما ان رسالته (في الحيلة لدفع الاحزان) سقراطية او افلاطونية وبعض الافكار في رسالته (نسبة القدماء الاشكال الخمسة للاستقسات) افلاطونية (٧) .

من الباحثين القدماء الذين فطنوا الى تاثر الكندي بافلاطون صاعد الاندلسي حيث يقول (٨) « واشتر من العرب بالفلسفة ، وله في اكثر العلوم تآليف مشهورة ، ومن كتبه المشهورة كتاب التوحيد المعروف بفهم الذهب ، ذهب به الى مذهب افلاطون من القول بحدوث العالم في غير زمان » .

بعد ان يتكلم صاعد عن الكندي ويقول ان له رسائل كثيرة في علوم جمة ظهرت فيها اراء فاسدة ومذاهب بعيدة عن الحقيقة ، نرى ابن ابي اصيبعة(٩) ينتصف

---

(٣) ابن ابي اصيبعة : عيون الانباء حـ١ ص ٢٠٧
(٤) القفطي : تاريخ الحكماء ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ـ بلا تاريخ ـ ص ٩٨
(٥) رسائل الكندي الفلسفية ، تحقيق الدكتور عبد الهادي ابو ريدة ، القاهرة ١٩٤٦ ،حـ١ ص ١٧
(٦) ابن النديم : الفهرست ، القاهرة ١٣٤٨هـ في ص ٢٧٧ القفطي : تاريخ الحكماء ص ٣٧٤ .
(٧) افلاطون : فيدون ، ترجمة وتعليق الدكتور علي سامي النشار وعباس الشربيني الاسكندرية ١٩٦٥ ،ص ٢٣٦
(٨) صاعد الاندلسي طبقات الامم ، القاهرة ـ مطبعة التقدم بلا تاريخ ص ٦٩
(٩) عيون الانباء حـ١ ص ٢٠٨

للكندي قائلاً : ان هذا الذي قاله القاضي صاعد عن الكندي ، فيه تحامل كثير عليه، وليس ذلك مما يحط من علم الكندي ،ولا مما يصد الناس عن النظر في كتبه والانتفاع بها . كذلك يرى الدكتور عبد الهادي ابو ريدة ان صاعدا يتحامل على فيلسوف العرب لان ادلة الكندي في اثبات حدوث العالم ادلة جيدة .

رغم ان الكندي يشابه افلاطون ـ كما فهمه ـ في القول بحدوث العالم والزمان والحركة ، ولكن تختلف بواعث كل منهما وغاياته ، علاوة على ان الكندي ينكر انكارا باتا وجود اي شيء كان قبل حدوث العالم ، بينما يذهب افلاطون الى وجود مايشبه المادة ، مادة سابقة على وجود هذا العالم ... ويبدو ان هذه المادة الاولى ،هي الهيولى القديمة ، وقد عرف هذا المذهب عند المسلمين(١٠)

الملاحظ ان الكندي لايجاري افلاطون في خيالاته عن كيفية الخلق في قصة طيماوس ، ولا يستهويه مذهب ارسطو في المادة العاشقة للصورة والله . ولم يتاثر بنظرية الصدور التي نادت بها الافلاطونية الحديثة ، والتي حاولت ان تقرب المسافة بين الله الواحد المجرد عن المادة المتغيرة . اما الكندي فقد اعلن :(١١) « ان هذا العالم محدث ومن لاشيء ـ ضربة ـ واحدة في غير زمان ومن غير مادة ما ، بفعل القدرة المبدعة المطلقة من جانب علة فعالة اولى هي الله ، ووجود هذا العالم وبقاؤه ،وحدة هذا البقاء متوقفة كلها على الارادة الالهية الفاعلة لذلك بحيث لو توقف الفعل الارادي من جانب الله لانعدم العالم ضربة واحدة وفي غير زمان » .

اما انتقال افلاطون الى الكندي فيرجع ذلك الى الصابئة الحرنانية(١٢) ، وهي مدرسة افلاطونية نرى الكندي يدرس كتبهم . فهو يقول(١٢) انه نظر في كتاب يقربه من هؤلاء القوم ، وهو مقالات لهرمس في التوحيد كتبها لابنه على غاية من

(١٠) افلاطون : فيدون ص ٢٣١
(١١) رسائل الكندي الفلسفية حـ١ ص ٦٢
(١٢) افلاطون : فيدون ص ٢٣٣
(١٣) نفس المصدر ص ٢٣٤

النقاوة في التوحيد لايجد الفيلسوف اذا اتعب نفسه مندوحه عنها والقول بها .

فالكندي اذن تاثر بالحرنانية ، واثرهم فيه واضح اذ اخذ منهم الجانب الافلاطوني . ويبدو ان الحرنانية قد اعتقد ـ خطأ ـ ان افلاطون يقول بحدوث العالم وبالتوحيد . وتابعهم الكندي على رايهم هذا .ان الاثر الافلاطوني واضح في كتب الكندي الطبيعية ، لاسيما رسالته في السبب ، الذي نسبت القدماء الاشكال الخمسة الى الاستقسات ، وهذه الرسالة افلاطونية ماخوذة من طيماوس (١٤)

واذا كانت ثمة بعض الظنون حول ديانة الكندي وزندقة اجداده ومن ان اليهودية كانت في الجاهلية موجودة في قبيلة كنده وانه تاثر بالحرنانية فانا نرى الدكتور ابو ريده يؤكد اسلام الكندي وانه كان عاملا بالشرع متمسكا بعقائد الاسلام الاساسيه. والذي يهمنا ان الكندي كان يفكر بعقل اليونان اكثر منه بعقل الاسلام ولا غرابة فقد اجمعت المصادر على ان الكندي اول مفكر مشائي في الاسلام

يتفق الكندي مع افلاطون كذلك في الوسيلة التي توصلنا للمعرفة ، فالكندي يقول ان للمعرفة وسيلتين لكل وسيلة منهما موضوعها ، فاول وسيلة هي الادراك الحسي وهو مشترك بين الانسان والحيوان ، وهو يدرك المحسوسات المادية الجزئية الدائمة التغير التي لها صورة في المخيلة والتي هي اقرب الى الانسان منها الى حقائق الاشياء ،والمعرفة الناشئة عن الادراك الحسي غير ثابتة ، نظرا لعدم ثبات موضوعها من حيث الكم ومن حيث الكيف . والوسيلة الثانية العقل الذي يدرك الحقائق العميقة التي هي ابعد عن الانسان لكنها اقرب الى طبيعة الاشياء وهي معقولات صرفه لا تتمثل لها صورة في المخيلة وهي شبيهة بالبديهيات(١٥) .

فالماديات المتغيرة تستند على الحس ، والمعقولات تستند على الاستنباط الرياضي .وتتجلى طريقة الكندي الاستنباطية في اهتمامه بتحديد

(١٤) رسائل الكندي الفلسفية حـ٢ ص ٥٤
(١٥) رسائل الكندي الفلسفية حـ١ ص ٤٨

الماهيات والعلل ومعرفتها ، وذلك لكي تتيسر معرفة مايعرض للماهيات من احوال وما يصدر عن العلل من آثار ، فاذا اتقن الناظر مثلا معرفة جوهر النفس وقواها ، استطاع ان يعرف اهمية النوم والرؤيا ، وكذلك تساعد معرفة علة الشيء على معرفة هذا الشيء اوثق معرفة واتمها ، هذا الى ان معرفة طبيعة الشيء تعين على معرفة فعله والعكس . وكثيرا مايذكر الكندي ان لكل راي فلسفي مقدمات ، وقد تكون من علم اخر ، ولابد منها لليحث فيه ، وهو يسميها الاوائل ، ويبدا دائما بذكرها لكي يكون الكلام بعد ذلك قائما على اساس طبيعي ثابت ، فمنهجه اذن منطقي رياضي (١٦) .

كذلك يذكر سانتلانا(١٧) : ومن كتاب طيماوس الافلاطوني ، اخذ ابو يعقوب الكندي واخوان الصفا مايوجد في كلامهم عن اهمية العدد في العالم والمناسبات العددية في المخلوقات . ومن مؤلفات الكندي رسالة المدخل الى الارثماطيقي كتاب في تاليف الاعداد ورسالة التوحيد من جهة العدد ورسالة الزجر والفال من جهة العدد . ويشير سانتلانا ايضا انه قد يوجد في رسائل الكندي ، رسالة في الاعداد ذكرها افلاطون في كتاب السياسة(١٨) .

كانت نظرية الفيثاغوريين ، وتبعهم في ذلك افلاطون الى حد كبير ، ان العدد اصل الموجودات وقد عارض ارسطو هذه النظرية بشدة في ميتافيزيقاه ورفض قول افلاطون ان المثل اعداد ، وعلة ذلك واضحة ، اذ كيف يكون العدد الذي يخلو من الهيولى ، الذي هو اكثر الامور الرياضية تجردا عنها اصلا للموجودات المحسوسة المركبة من هيولى اساسا .

كانت النظريتان الفيثاغورية والافلاطونية موجودتين امام بصر الكندي ، فتاثر بالاولى في القول بقوة الاعداد ومالها من أثر وسحر ، مثال ذلك ماذكره في كتاب المصوتات الوترية ، انه سيجعله خمسة فصول كعدد العناصر الخمسة ، التي هي الطبيعية الكلية واصابع اليد الخمسة والكواكب الخمسة ودوائر العرب الخمسة والاصوات المنطقية الخمسة بالاضافة الى اخذه ان العدد اصل الموجودات ، وقد ذكر ذلك في رسالته عن كمية كتب ارسطاليس يقول : انه ان لم يكن العدد موجودا: لم يكن معدودا ولا تاليف العدد ، ولا من المعدود الخطوط والسطوح والاجرام والازمان والحركات فان لم يكن عدد لم يكن علم المساحة ولاعلم التنجيم(١٩) .

يقسم الكندي المجموعة البشرية الى ثلاثة اصناف ، ويميز كل نوع بميزات تشبه وصف افلاطون . يقول الكندي ان سكان المنطقة الاستوائية نظرا لشدة الحر ، سود اللون شعرهم متقطط وانوفهم مفرطحة وشفاههم غليظة ، يغلب عليهم الغضب والشهوة ، لافراط الحرارة . اما سكان مايلي القطب ، منهم بيض اللون سبط الشعر غلاظ الاطراف صغار الانوف ، وهم اهل وقار وشدة قلوب وصبر على الشهوة . اما اهل البلاد المتوسطة بين ذلك فممتدلو الامزجة والاخلاق ، اقوياء الفكر واهل بحث ونظر .

الاختلاف بين الكندي وافلاطون هنا ، ان الكندي يرجع هذه الصفات الى فعل الجو وطبيعة السكان واخلاقهم ؛ اما افلاطون فاراد ان يجعل من اليونانيين الشعب المختار(٢٠) .

والكندي وهو يحد الفلسفة ، يتكلم باسلوب فيثاغورس وافلاطون معا ، ويردد افكارهما ؛ حيث يقول(٢١) : ان الفلسفة حدها القدماء بعدة حروف :

اولا : اما عن اشتقاق اسمها فهو حب الحكمة لان الفيلسوف هو مركب من فيلا وهو محب ، ومن صوفيا وهي الحكمة .

---

(١٦) نفس المصدر جـ١ ص ٢٦

(١٧) سانتلانا : تاريخ المذاهب الفلسفية ، مخطوط ، محفوظ في مكتبة كلية الاداب جامعة القاهرة جـ٢ ص٣٥٨

(١٨) نفس المصدر جـ١ ص ٢٦٦

(١٩) د . فؤاد الاهواني : الكندي ، القاهرة ـ بدون تاريخ ـ ص ١٢٢

(٢٠) د . عبدالرحمن بدوي : افلاطون ، القاهرة ١٩٥٤ ص ٢٠٢

(٢١) رسائل الكندي الفلسفة جـ١ ص ١٧٢

ثانيا : وحدودها ايضا من جهة فعلها . فقالوا ان الفلسفة هي التشبه بافعال الله تعالى بقدر طاقة الانسان ، وارادوا ان يكون الانسان كامل الفضيلة .

ثالثا : وحدودها ايضا من جهة فعلها ، فقالوا العناية بالموت ، والموت عندهم موتان : طبيعي وهو ترك النفس استعمال البدن ، والثاني اماتة الشهوات ، فهذا هو الموت الذي قصدوا اليه ،لان اماتة الشهوات هي السبيل الى الفضيلة ، ولذلك قال كثير من اجلة القدماء اللذة شر فباضطرار انه اذا كان للنفس استعمالان احدهما حسي والاخر عقلي ، كان مما سمى الناس لذة ما يعرض في الاحساس ، لان التشاغل باللذات الحسية ترك لاستعمال العقل .

ان اوضح اثر لافلاطون على الكندي ، هي نظريته في النفس ، فقد تابع الكندي افلاطون وابتعد عن ارسطو ، اذ ان النفس عند الكندي جوهر روحاني الهي بسيط خالد(٢٢) ، اي كما ذهب اليه افلاطون من قبل(٢٣) ، فالكندي يقول : ان النفس بسيطة ذات شرف وكمال ، عظيمة الشأن ،جوهرها من جوهر الباري عز وجل ، كقياس ضياء الشمس من الشمس . كما انه يتابع راي افلاطون فيقول : ان النفس منفردة عن هذا الجسم ، مباينة له ، وان جوهرها جوهر الهي روحاني ، بما يرى من شرف طباعها ومضاداتها لما يعرض للبدن من الشهوات والغضب(٢٤) .

كما ان الكندي يذكر تقسيم افلاطون لقوى النفس الى الشهوانية والغضبية والعقلية ، فهو يقول : ان افلاطون قاس القوة العقلية الشهوانية التي للانسان بالخنزير والقوة الغضبية بالكلب والقوة العقلية بالملك ، وقال من غلبت عليه الشهوانية وكانت هي غرضه واكثر همه فقياسه قياس الخنزير ، ومن غلبة الغضبية فقياسه قياس الكلب، ومن كانت تغلب عليه قوة النفس العقلية ،وكان اكثر دابه الفكر والتمييز ومعرفة حقائق الاشياء ، والبحث عن غوامض العمل ، كان انسانا فاضلا قريب الشبه من الله سبحانه(٢٥) . وان النفس عنده مباينة للجسم ، كما انها ضد القوة الغضبية والقوة الشهوانية ، لانه يرى أن النفس التي تضاد هاتين القوتين ، هي النفس العاقلة ، وهذه النفس خالدة لانها نور من الباري عز وجل اذا هي فارقت البدن علمت كل مافي العالم ، ولم يخف عنها خافية ثم يضيف مستشهدا والدليل على ذلك قول افلاطون ، حيث يقول ن كثيرا من الفلاسفة الطاهرين القدماء لما تجردوا من الدنيا وتهاونوا بالاشياء المحسوسة وتفردوا بالنظر والبحث عن حقائق الاشياء انكشف لهم علم الغيب ، وعلموا بما يخفيه الناس في نفوسهم واطلعوا على سرائر الخلق(٢٦) . فاذا كان هذا هكذا ، فالنفس بعد مرتبطة بهذا البدن ، في هذا العالم المظلم ، الذي لولا نور الشمس لكان في غاية الظلمة ، وكيف اذ تجردت هذه النفس وفارقت البدن وصارت في عالم الحق ، الذي فيه نور الباري سبحانه ، ثم لم ينبث الكندي ان يضيق مكملا ، ولقد صدق افلاطون في هذا القياس واصاب به البرهان الصحيح(٢٧) .

يستشهد الكندي بالطريق الذي يصفه افلاطون للتشبه بالله فيقول : ان افلاطون قال : دائما من كان غرضه في هذا العالم التلذذ بالمأكل والمشارب المستحيلة الى الجيف ، وكان ايضا غرضه في لذة الجماع ، فلا سبيل لنفسه العقلية الى معرفة هذه الاشياء الشريفة ، ولا يمكنها الوصول الى التشبه بالباري سبحانه(٢٨) . ولاشك ان الكندي

---

(٢٢) رسائل الكندي الفلسفية حـ١ ص ٢٢٣
انظر :د سالة الكندي في حدود الاشياء ورسومها ص ٥٧ ، في مجلة :
Bulletin D'Etudes Orientales Tome XXV, Damas 1973.

(٢٣) Plato, the Republic (English Translation) B. Jowett, Oxford, 1888, X. 608-612.

(٢٤) رسائل الكندي الفلسفية حـ١ ص ٢٢٣

(٢٥) رسائل الكندي الفلسفية حـ١ ص ٢٧٤
قارن : Plato, the Republic, IV, 435.

(٢٦) رسائل الكندي الفلسفية حـ١ ص ٢٧٤

(٢٧) نفس المصدر والصفحة .

(٢٨) نفس المصدر والصفحة .

اطلع على محاورة فيدون الافلاطونية(٢٩) ، ولابد ان تاثر بها حيث انه يستشهد بنصوص من المحاورة المذكورة . اما خلود النفس ، فنجد الكندي ياتي بدليل افلاطون قائلا(٣٠) : ان النفس على راى افلاطن وجلة الفلاسفة باقية بعد الموت : جوهرها كجوهر الباري عز وعلا في قوتها اذا تجردت ان تعلم سائر الاشياء ، كما يعلم الباري بها او دون ذلك برتبة يسيرة لانها اودعت نور الباري جل وعز

ان النفس الناطقة اذن اذا اتجهت الى التفكر وادركت حقائق الاشياء بالبحث عن العلم صارت الهية ، لانها تقتبس قدرة الله من قربها له ، فاذا تجردت النفس وفارقت البدن واصبحت في عالم العقل فوق الفلك ، صارت في نور الله ورات الباري عز وجل وطابقت نوره وارتفعت في ملكوته ، فتنكشف لها الاشياء وتظهر لها بارزة مثل ماهي بارزة لله عز وجل ، ونحن في هذا العالم الدنس نرى اشياء بارزة لها كما هي واضحة لله ، اننا ونحن في هذا العالم الدنس نرى اشياء كثيرة ، فما بالنا اذا طابقت نفوسنا عالم الديمومة واصبحنا ننظر بنور الله .

يورد الكندي مايدعم فكرته في الفيثاغورية : ونحن نعلم ان افلاطون قد تاثر بفيثاغورس ، فيقول الكندي(٣١) : وكان افيسقورس (يعني فيثاغورس) يقول ان النفس اذا كانت وهي مرتبطة بالبدن تاركة الشهوات متطهرة من الادناس ، كثيرة البحث والنظر في معرفة حقائق الاشياء ،انصقلت صقالة ظاهرة ، واتحدت بها صورة من نور الباري .

والنفس لاتنام بتة لانها في وقت النوم تترك استعمال الحواس وتبقى محصورة ليست بمجردة على حدتها ، وتعلم كل مافي العوالم وكل ظاهر وخفي ولو كانت هذه النفس تنام لما كان الانسان اذا راى في النوم شيئا ، يعلم انه في النوم ، بل لايفرق بينه وبين ماكان في اليقظة ، واذا بلغت هذه النفس مبلغا في الطهارة ، رات في النوم عجائب من الاحلام، وخاطبتها الانفس التي قد فارقت الابدان ، وافاض عليها الباري من نوره ورحمته فتلتذ لذة دائمة فوق كل لذة تكون بالمطعم والمشرب والنكاح والسماع والنظر والشم واللمس ، لان هذه الاسباب حسية دنسة تعقب الاذى ، وتلك لذة الهية روحانية ملكوتية تعقب الشرف الاعظم ، والشقي المغرور ، والجاهل من رضي لنفسه بلذات الحس ، وكانت هي اكثر اغراضه ومنتهى غايته(٣٢) وهنا يورد نصا افلاطونيا ذا مسحة فيدونية : فاما افلاطن فقال في هذا المعنى ، ان مسكن الانفس العقلية ، اذا تجردت هو كما قال الفلاسفة القدماء ، خلف الفلك في عالم الربوبية حيث نور الباري(٣٣) .

وليس كل نفس تفارق البدن عند الكندي تصير الى جوار الالهة ، اي من الانفس التي تفارق البدن ماهو مدنس وخبيث ، فتنطلق من فلك الى فلك ، حيث تتطهر وتتهذب وتنقى حتى تنتهي في النهاية الى مقام الالهة . فهدف الكندي اذن من اصلاح النفس وتطهيرها والابتعاد عن الشهوات الدنيئة واخضاع قوتى الشهوة والغضب للنفس العاقلة ، انه كان يهدف الى تهذيب الاخلاق ،وعنده ان الدين والفلسفة لايتعارضان في اقامة الاخلاق وعنده ان الدين والفلسفة لايتعارضان في اقامة الاخلاق الفاضلة ؛ لان الحق واحد ؛ وان كلا من الدين والفلسفة ؛ ينبع من نور الحق ؛ لاسيما وان الاسلام كان يهدف الى اثبات الوحدانية لله ؛ وان الله هو مبدع العالم من عدم ، ولما كانت الفلسفة من صميمها تبغي معرفة الاله الواحد الحق ، فلا منافاة اذن بين الدين والفلسفة ، وان الكائنات عند الكندي جميعها حادثة ، وعلتها جميعا هو الله الواحد الحق مبدع الكل وممسك الكل ، واحد غير متكثر ولاخارج عن ذاته ولامشبه شيئا من معلولاته .(٣٤)

فالعالم عنده اذن منفعل ، لانه مبتدع ، وان الفاعل هو الله الواحد ، وان اول منفعل عن الله هو الفلك ، بما فيه من اجرام ، وهو اول المبدعات

(٢٩) افلاطون : فيدون ص ٢٣٥
(٣٠) رسائل الكندي الفلسفية حـ١ ص ٢٧٥
(٣١) نفس المصدر حـ١ ص ٢٧٠
(٣٢) نفس المصدر حـ١ ص ٢٧٧
(٣٣) افلاطون : فيدون ص ٢٣٥
(٣٤) رسائل الفلسفية حـ١ ص ٨٠

وعلة الحوادث في العالم الارضي . وان الاجرام العليا بحسب حركاتها وسرعتها المتفاوتة واختلاف مواقعها بعضها بالنسبة للبعض الاخر ، وبالنسبة للارض هي التي تسبب الظواهر الارضية من حرارة وبرودة ويبوسة ورطوبة . وهي تؤثر في الكائنات الحية على ظهر الارض من نبات وحيوان وانسان . وان النفس عند الكندي وسط بين العقل الالهي وبين العالم المادي ، وعنها صدر عالم الافلاك ، وهذه بلاشك فكرة افلاطونية ، وعن هذه النفس تفيض النفس انسانية .

اما تمسك الكندي بالسيرة الفلسفية الحقيقية فتظهر افلاطونيته بصورة واضحة ، اذ انه اتجه كليا نحو الزهد والتجرد من الحياة ، وايثار النظر في حقائق الاشياء ، والاعتقاد في بقاء النفس بعد فناء البدن ، وان السعيد من يبتعد عن اللذات الحسية الزائلة ، ويلتجيء الى اللذة العقلية الخالدة التي توصله الى نور الحق ، وينعم برؤية الباري تعالى . وتنقسم الفضائل الانسانية عنده الى ثلاثة اقسام(٣٥) : الحكمة والنجدة والعفة فالحكمة هي فضيلة القوة العقلية ، والنجدة فضيلة القوة الغضبية ، والعفة فضيلة القوة الشهوانية . وهذا التقسيم للفضائل هو افلاطوني بلاشك ، ولكن نرى الكندي(٣٦) يتأثر بارسطو(٣٧) عندما يقرر ان للفاضل طرفان : احدهما من جهة الافراط والاخر من جهة التقصير ، وكل واحد منهما خروج عن الاعتدال ، لان الاعتدال عنده وعند ارسطو فضيلة ، وان الخروج عن الاعتدال رذيلة . وان رسالته (الحيلة لدفع الاحزان) تدل دلالة واضحة على حرص الكندي على السيره الفلسفية ، التي تعتمد على السير بضوء العقل وخيراته التي تنال منها يد البلى(٣٨) .

وتهدف رسالته هذه الى علاج حالة نفسية ، هي ظاهرة الحزن التي تصيب البشر ، ويوضح الطرق الناجحة للخلاص من هذه الاحزان . يعرف الكندي الحزن ، بانه الم نفساني يعرض لفقد المحبوبات او فوت المطلوبات(٣٩) . اذن فأهم الاسباب الداعية للحزن ، كما يراها فيلسوف العرب ، هي الاشياء المادية التي نتعرض لفقدانها في حياتنا ، او تلك التي نبغي ان ننالها وليس باستطاعتنا ان نصلها ، فهو هنا كما ينظر للماضي ويحزن على اشياء فقدناها ويهتم بضياعها ، كذلك يرى ان منا من يحزن لفوات مطلوبات ، سوف لن ننالها ، ولكن الكندي اختص بنظرته الفلسفية الى النفس من جهة وبنظرته الى عالم الكون والفساد المتغير الذي لايبقى على حال ، فاذا ادركنا ذلك يجب ان نهون علينا الامر لان كل شيء مادي زائل ، وهذه طبيعته ، ولكن الكندي كمفكر اجتماعي يرى ان هذا الحزن موجود مادام الناس يتجهون لاشباع رغباتهم المادية ويختلفون فيما بينهم في سبيل الحصول على منصب او مال يشبعون به حب المنزلة الاجتماعية ، او اشباع الرغبات الحسية ، ثم يقول ان الحكيم وحده هو الذي يتجه نحو العقل ولا يلتفت الى المادة الزائلة المتغيرة ، لانه يدرك ان اللذة العقلية هي وحدها الثابتة الحقيقية ثم لاينسى الكندي استاذه الذي يقتدي به ، فيقول : وليكن احدنا مثل سقراط الذي سؤل : مابالك لاتحزن ؟ فاجاب : لاني لااقتني مااذا فقدته حزنت عليه .

يضرب الكندي مثلا على ان اعظم شيء يصيب الانسان في حياته فيحزنه هو الموت سواء كان ذلك لموت عزيز عليه ، او توقعه واننا كمسلمين نعلم في كتابنا الكريم آيات كثيرة تشير الى ان الاجل اذا حان فلا يستقدم ساعة ولايتاخر ، ولذلك ليس هناك داع للحزن ، ونحن نؤمن بان الاجل ات لاريب فيه ، وكل انسان مصيره الموت .

نلاحظ ان الكندي لايعالج مشكلة الموت من الناحية الفلسفية ، فالانسان كما يعرفه : حيوان ناطق مائت(٤٠) فالموت جزء من ماهيته ، كما ان

---

(٣٥) رسالة الكندي في حدود الاشياء ورسومها ص ٧٣

(٣٦) نفس المصدر ونفس الصفحة .

(٣٧) Aristotle Ethica Nicomachea, English translation, by D. Ross, Oxford 1925, II. 7-9, 1108a-1109b.

(٣٨) رسائل الكندي الفلسفية ج١ ص ١٠

(٣٩) نفس المصدر والصفحة .

(٤٠) الاهواني : الكندي ص ٢٥٥

الحيوانية جزء أخر ، والنطق جزء ثالث . فلا ينبغي ان يجزع المرء من الموت ،لانه قدر محتوم ، وفي نفس الوقت لو اخذ المرء نفسه بالفلسفة الباحثة عن الحقيقة الصحيحة ؛ لعرف ان جوهرة الحق هي النفس لا البدن ، وان البدن فان مائت ، ولكن النفس لاتموت ،فاذا فني احدنا هذا الفناء الظاهري في حياته الدنيا ، فان النفس تتخلص عندئذ من علائقها البدنية ، وتنطلق حرة وتنعم بالسعادة في عالم العقل ونور الباريء .

ماعلى المرء العاقل اذن الا أن يساير الحياة ؛ بعد ان عرف طبيعة التغير فيها ، وينصح الكندي الانسان ان يسير سيرة فلسفية حكيمة شانه شان سقراط وافلاطون ، وان يسعى لتحرير نفسه من الناس ، ويبتعد عن الشهوات ، وان يبتعد عن مسببات الحزن . فلا يتعلق مثلا بامال يعلم مقدما انها بعيدة المنال فيتولاه الحزن حين يتعلق بها حينا ثم يدرك بعد ذلك انها ليست بمستطاعة في الوصول اليها ، بل عليه مقدما ان يسير في الطريق الذي يدرك انه سيصل فيه الى مبتغاه .

محو الأمية منطلق لتحقيق أهداف الأمة العربية في الوحدة والحرية والاشتراكية

WWW.ATTAWEIL.COM